مظاهر الرحمة في توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشباب

بحث مقدم للمؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام
الذي ينظمه قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية
جامعة الملك سعود

إعداد

أ.د. سليمان بن قاسم العيد
الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية
والمشرف على كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحسبة وتطبيقاته المعاصرة

١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يُضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد: فإن من يبحث عن نماذج الرحمة في حياة البشر فإنه سيجد ذلك متمثلاً بأبهى صورة وأكمل خُلُق في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشتى جوانبها، وفي هذا البحث سأتناول بإذن الله تعالى جانباً من مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للشباب، متمثلاً في مواقف للنبي صلى الله عليه وسلم مع شباب الصحابة رضي الله عنهم.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى أمرين أساسيين، **أولهما:** مصدر نماذج الرحمة التي سيتم عرضها وهي سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنها تُمثّل المظاهر الحقيقية للرحمة، والمعنى الصحيح لها.

وثانيهما: يعود إلى أهمية المرحلة المعنية في هذا البحث وهي "مرحلة الشباب"، ومما لا شك فيه أن مرحلة الشباب مرحلة عمرية مهمة، فهي مرحلة تتسم بالقوة والفاعلية والإنتاجية والطموح، وهذه المرحلة عبارة عن الخط الزمني البارز في رحلة عمر الإنسان المخصوصة بالمسؤولية والمحاسبة عنها يوم العرض الأكبر على الله،كما عند الترمذي من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما عَلِم"(١).

والشباب هم عُدَّة الحاضر وأمل المستقبل، وبهم تُبْنى الحضارات، ومن جانب آخر فهم أسرع فئات المجتمع تأثراً وأكثرهم استجابة للدعوات، ولذا فإن معاول الهدم والتغيير في المجتمعات تستهدف أول ما تستهدف فئة الشباب، فالشباب إذاً بحاجة إلى توجيه رحيم يهديهم إلى الصلاح ويقيهم الفساد، وينتشلهم منه برحمة إن وقعوا فيه(٢).

مشكلة البحث

مرحلة الشباب مرحلة هامَّة وحساسة من حياة الإنسان، وتوجيههم فيها يحتاج إلى عناية واهتمام، وإن الخلل في توجيه الشباب في هذه المرحلة قد يُنتج آثاراً سلبية على الشباب ومجتمعاتهم، والخطأ في ذلك يحصل من عدة جوانب، ومن ضمنها الغفلة عن الرحمة بهم والشفقة عليهم حين التوجيه، وهذا الخطأ يقع

---

(١) أخرجه الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، حديث رقم ٢٤١٦ ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب. وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٩٤٦.

(٢) انظر: سليمان بن قاسم العيد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، ص ٢٤ وما بعدها.

فيه الكثير من المعنيين بتوجيه الشباب وتربيتهم، من آباء ومعلمين ودعاة، لذا كانت الحاجة إلى عَرْض شيء من مظاهر الرحمة في توجيه الشباب من هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

أهداف البحث:

١- بيان حاجة الشباب إلى الرحمة في التوجيه.

٢- بيان مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للشباب.

٣- إيضاح آثار الرحمة في توجيه الشباب من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

أسئلة البحث

١- ما مدى حاجة الشباب إلى الرحمة في التوجيه.

٢- ما مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للشباب.

٣- ما آثار الرحمة في توجيه الشباب من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

الدراسات السابقة: هناك كتابات كثيرة عن الرحمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في جوانب مختلفة، إلا أنني لم أجد شيئاً يتناول الرحمة في توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشباب، وأقرب دراسة للموضوع هي كتاب "المنهاج النبوي في دعوة الشباب" لسليمان بن قاسم العيد، طبع الكتاب سنة ١٤١٥هـ، وأصله رسالة ماجستير في قسم الدعوة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وتناول الكتاب منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للشباب في تعليمهم العلم، وغرس الإيمان، وتعليمهم العبادات والآداب، وإعدادهم للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. وأما هذا البحث فإنه يعنى بمظاهر الرحمة في التوجيهات النبوية للشباب.

منهج البحث: المنهج المتبع في هذا البحث بإذن الله تعالى هو المنهج الاستقرائي الاستنتاجي.

تقسيم البحث: المقدمة

التمهيد: وفيه:

أولاً: التعريف بالرحمة ومكانتها في الشرع.

ثانياً: التعريف بمرحلة الشباب وأهميتها.

المبحث الأول: مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في مسائل العقيدة.

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في غَرْس العقيدة

المطلب الثاني: مظاهر الرحمة في تصحيح الأخطاء العقدية.

المطلب الثالث: مظاهر الرحمة في الوقاية من الفتن.

المبحث الثاني: مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في العبادات.

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في تعليم العبادات والحث عليها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التمهيد

أولاً: التعريف بالرحمة ومكانتها في الشرع:

الرَّحْمَةُ في اللغة: الرِقَّةُ والتعطُّفُ. وقد رَحِمْتُهُ وترَحَّمْتُ عليه. وتراحَمَ القوم: رَحِمَ بعضُهم بعضاً. ورجلٌ مَرْحومٌ ومُرَحَّمٌ، شدِّد للمبالغة. والرَّحِمُ: رَحِمُ الأنثى، وهي مؤنَّثة. والرَّحِمُ أيضاً: القَرابَةُ. والرحمنُ والرحيمُ: اسمان مشتقَّان من الرحمة(١).

الرحمة في الاصطلاح: عرَّفها بعض أهل العلم بقولهم: (رِقَّة مقتضية للتعطُّف والتفضّل، فمبدأها الرِقَّة التي هي انفعال، ومنتهاها: العطف والتفضُّل الذي هو فعل)(٢)، وقيل: (هي رِقَّة في النفس تبعث على سَوْق الخير لمن تتعدى إليه)(٣). والمعنيان متقاربان، إلا أن الثاني أوضح للدلالة على المراد.

مكانة الرحمة في الشرع:

الرحمة من صفات الله تعالى فهو سبحانه وتعالى (رحمن رحيم) ففي بداية كل سورة من سور القرآن –سوى سورة التوبة– يتلو القارئ هاتين الصفتين، إضافة إلى الآيات العديدة في كتاب الله سبحانه وتعالى التي جاء فيها وصفه سبحانه بالرحمة منها قوله سبحانه: ﴿□ □ □ □ □ □﴾ [غافر: ٧] وقوله: ﴿□ □ □ □﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقوله: ﴿□ □ □ □﴾ [الأنعام: ٥٤]. وفي الحديث: "إنَّ لله مائة رحمة، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة"(٤). والرحمة أيضاً من صفات النبي صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه من صحابته الكرام ﴿□ □ □ □ □ □ □ □﴾ [الفتح، ٢٩]، وهي سبب في تأليف قلوب الناس عليه وقربهم منه صلى الله عليه وسلم ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □﴾ [آل عمران، ١٥٩]، بل رسالته صلى الله عليه وسلم كلها رحمة للعالمين ﴿□ □ □ □ □ □﴾ [الأنبياء، ١٠٧] فاتباعه صلى الله عليه وسلم سبب للسعادة في الدنيا والآخرة والنجاة من الشقاء والعذاب، وهذا من أعظم الرحمة بالعباد.

كما جاء الشرع المطهَّر بالحث على الرحمة والثناء على أهلها، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ الرَّحم شُجْنَة(٥) من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته"(٦) وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تُقَبِّلون الصبيان؟ قال: ما نقبلهم، فقال النبي صلى الله

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري، مادة [رحم]. ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة [رحم]. ولسان العرب لابن منظور، مادة [رحم].

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ١ /٥٠.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣٤/٢٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، حديث رقم ٢٧٥٣.

(٥) قرابةٌ مشتبكة كاشتباك العروق،ويجوز فيها ضم السين والفتح والكسر. (انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٤٧).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، حديث ٥٩٨٨.

عليه وسلم: "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة"[١]. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم تَسَمَّى بنبي الرحمة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا محمد، وأحمد، والمقفي[٢]، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة"[٣].

ثانياً: التعريف بمرحلة الشباب وأهميتها.

كلمة (شاب) تعني في أصلها اللُّغوي النماء والقوة، يقول ابن فارس: "الشين والباء أصل واحد يدل على نماء الشيء وقوته"[٤]. والشباب بمعنى الفتاء والحداثة، والشباب جمع شاب، وكذلك شُبَّانٌ وشَبَبَةٌ، وشباب الشيء أوله، يقال لقيت فلاناً في شباب النهار، أي في أوله[٥].

ولقد ذكر الله سبحانه هذه المرحلة من العمر في كتابه العزيز واصفاً إياها بالفتوة كما في قوله عن أصحاب الكهف: ﴿ ﴾ [الكهف، ١٣].

ووصفها بالقوة كما في قوله سبحانه: ﴿ ﴾ [الروم، ٤٥]. ومرحلة القوة في هذه الآية التي تقع بين مرحلتي ضعف هي مرحلة الشباب.

كما وردت الإشارة إليها بصفات أخرى كالأشد، كما في قوله سبحانه: ﴿ ﴾ [الأنعام، ١٥٢]. والأشد هنا الاحتلام. قاله ربيعة ومالك وغير واحد من السلف[٦]. وقيل: (هو بلوغ سن الرشد والقوة)[٧]. وصفة الرشد وردت في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [النساء، ٦]. في هذه الآية دلالة واضحة على أن الرُّشد لا يكون قبل الاحتلام.

وفي السُنَّة المطهَّرة ورَد ذكر هذه المرحلة من العمر بلفظ الشباب والفتيان وغير ذلك، ومن ذلك حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[٨].

ولتحديد مرحلة الشباب فهي من حيث البداية تتبين من قوله تعالى: {وإذا بلغ...} [النور، ٥٩]. وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث ٥٩٩٨.

(٢) المولي الذاهب. وقد قَفَّى يُقَفِّي فهو مقف: يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم، فإذا قفى فلا نبي بعده. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحدث والأثر، ٩٤/٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، حديث ٢٣٥٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة ١٧٧/٣.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة [شبب].

(٦) تفسير الطبري، ١٢/ ٢٢٣.

(٧) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، ٨/ ١٦٧.

(٨) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، حديث رقم ٥٠٦٥.

حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل)[1].

بالنظر إلى هذه النصوص نجد في الآية أن الإنسان سُمِّي قبل الاحتلام طفلاً، وفي الحديث نجد الإنسان يجب عليه التكليف إذا شبَّ، والشباب يكون بالاحتلام. وفي حديث ابن مسعود ﷺ نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب جماعة باسم الشباب حاثاً لهم على الزواج، ولا يكون الزواج إلا بعد احتلام. وعلى هذا الأساس نجد أن مرحلة الشباب تبدأ بالبلوغ وهو الاحتلام.

ومن حيث نهاية المرحلة فقد ورد فيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من جعلها إلى الثلاثين، ومنهم من جعلها إلى اثنتين وثلاثين، ومنهم من جعلها إلى الأربعين، ومنه من جعلها إلى إحدى وخمسين[2].

وأما التحديد المختار لمرحلة الشباب فهو من البلوغ حتى سن الأربعين. وسبب هذا الاختيار هو أن الأصل اللغوي لكلمة الشباب يدل على أمرين: النماء والقوة. ونجد في القرآن الكريم أن سن الأربعين داخلة في هذا المعنى وأنها نهاية للنماء، كما في قوله سبحانه: ﴿□□□□□□□□﴾[الأحقاف، ١٥]. يقول ابن كثير: (إذا بلغ أَشُدّه) أي قوي وشب وارتجل.. (وبلغ أربعين سَنَة) أي تناهى عقله وكمل فهمه[3].

كما أن مرحلة الشباب لها أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، فهي مهمة لكونها بداية التكليف في حياة الإنسان، ولكونها فترة القوة والنشاط، ولكونها أفضل فترات العمر وأطولها مدة، إضافة إلى كونها الطاقة الكامنة في بناء حضارات الأمم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث ٢٤٧٠٣. وأبو داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً، حديث٤٣٩٨. والترمذي، أبواب الحدود، باب فيمن لا يجب عليه الحد، حديث ١٤٢٣. وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي٢/٦٤: صحيح. وهذا لفظ الترمذي.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ١٢/ ٢٢٢ وما بعدها. وتاج العروس ١/ ٣٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/١٥٨.

المبحث الأول: مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في مسائل العقيدة

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في غرس العقيدة

رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت في جملتها رحمة للعالمين ﴿□□□□□﴾ [الأنبياء، ١٠٧] في كل جوانبها عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وكما تتمثل الرحمة في موضوعاتها فإن الرحمة أيضاً تتمثل في أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للناس كافة، ومن ضمنهم شباب الصحابة رضي الله عنهم، ومما يمثِّل مظهراً من مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم ما رواه معاذ بن جبل ﷺ –وهو أحد شباب الصحابة الكرام رضي الله عنهم– حيث يقول: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: "يا معاذ بن جبل"، قلت: لبيك رسول الله، وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "هل تدري ما حق الله على العباد؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً"، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله، وسعديك، قال: "هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "أنْ لا يعذبهم"(١).

في هذا الموقف تتمثَّل رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في عدد من الأمور، أولها: قُرْب معاذ بن جبل ﷺ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرسول الله صلى الله عليه وسلم على مكانته وقدره، أعظم البشرية وسيد ولد آدم، وكل يتمنى القرب منه والحديث معه، ويكون معاذ بن جبل ﷺ وهو شاب من شباب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين شديد القرب منه بركوبه رديفاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد استشعر معاذ ﷺ هذا القرب فقال حين ذكر الحديث (ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل).

الثاني من مظاهر الرحمة في هذا الحديث شدة عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم معاذ بن جبل ﷺ، فمع قرب معاذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه صلى الله عليه وسلم يناديه كالبعيد بأسلوب ملفت للانتباه (يا معاذ بن جبل) ويُكرِّر هذا النداء ثلاث مرات، وفي كل مرة كان معاذ بن جبل ﷺ يقول (لبيك يا رسول الله وسعديك) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يسير بعدها ساعة ثم يعاود النداء، كل ذلك من أجل أن يستوعب معاذ بن جبل ﷺ ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعليمه إياه، وأنه ذو أهمية كبرى.

الثالث من مظاهر الرحمة في هذا الحديث هو طبيعة الموضوع الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل ﷺ إنها كلمات يسيرة تختصر العقيدة: حق الله على العباد، وحق العباد على الله،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، حديث رقم ٦٢٦٧. ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، حديث رقم ٤٨.

فحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أما حقهم على الله إذا فعلوا ذلك فإنه لا يعذبهم.

فالنجاة من الشرك بالله تعالى توجب لصاحبها الجنة وتنجيه من عذاب النار، فعن جابر ﷺ، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار"(١).

وفي مسألة من مسائل العقيدة تتعلق بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نجد أبا هريرة ﷺ يسأل عنها رسول الله

صلى الله عليه وسلم، كما روى قائلاً: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه، أو نفسه"(٢). ويتمثل مظهر الرحمة في هذه الحديث في عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هريرة ﷺ حين سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السؤال التفت إلى أبي هريرة ﷺ مبيناً حرصه على أبي هريرة ﷺ ومثنياً عليه في ذلك، مع أن سياق الحديث لا يدل على أن أبا هريرة ﷺ هو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما تظهر لنا رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسائل العقيدة مع شاب آخر من شباب الصحابة ﷺ وهو عبد الله بن مسعود ﷺ حيث قال: علَّمني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفِّي بين كفَّيه، التشهد، كما يعلُّمني السورة من القرآن: "التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"(٣). يدل هذا الموقف على مظهر من مظاهر الرحمة في توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم عبد الله بن مسعود ﷺ التشهد، فأثناء التعليم كانت كف عبدالله ﷺ بين كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما كان ذلك بعد المصافحة أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكف ابن مسعود ﷺ وأطبق عليها بيده الأخرى، فكانت كف ابن مسعود ﷺ بين كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك يدل على تأليف ابن مسعود ﷺ وشفقته عليه وحرصه على تعليمه واستيعابه ما يعلم إياه.

المطلب الثاني: مظاهر الرحمة في تصحيح الأخطاء العقدية.

تتمثل الرحمة أيضاً في تصويب النبي صلى الله عليه وسلم لما يحصل من الخطأ في مسائل العقيدة من شباب الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وهذه الرحمة لها صور متعددة حسب

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث ١٥١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث ٩٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليمين، حديث ٦٢٦٥.

الموقف، وقد يكون ظاهرها الشدِّة بدافعة الرحمة والشفقة على المخطئ من عاقبة ذلك الخطأ، كما حصل لأسامة بن زيد ﷺ، حيث يحدثنا أسامة بن زيد ﷺ عن هذا الموقف فيقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحُرَقَة[1]، فصبَّحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله" قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"[2].

وفي رواية عند مسلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة ﷺ: "لم قتلته؟" قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً، وسمَّى له نفراً، وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقتلته؟" قال: نعم، قال: "فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟" قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: "وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟" قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: "كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة"[3].

تبيَّن لنا من هذا الحديث التشديد من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد ﷺ حينما قتل ذلك الرجل الذي قال لا إله إلا الله، مع مكانة أسامة ﷺ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه، إضافة إلى حداثة سن أسامة بن زيد ﷺ فقد كان في بداية سِن الشباب، ولنا أن نتصور أنَّ عُمْر أسامة ﷺ حينئذ قرابة الستة عشر عاماً، فقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أسامة ﷺ ثمانية عشر عاماً وقيل عشرون[4]، وهذه الوقعة كانت سنة سبع أو ثمان من الهجرة[5]، وكان هذا الموقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة وشفقة على أسامة ﷺ من عاقبة هذا الخطأ.

وما وقع ذلك الخطأ من أسامة بن زيد ﷺ إلا لكونه متأولاً، قال الخطابي لعل أسامة ﷺ تأول قوله تعالى: ٱ□□□□□□□َ[6]. ولقد اعتذر أسامة بن زيد ﷺ عن ما حصل منه بقوله: (كان متعوذاً) فلم يقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعتذار وكرَّر الإنكار، فكان لهذا الموقف أثر كبير في نفس أسامة بن زيد ﷺ حتى قال: (تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) قال ابن حجر: أي أن إسلامي كان

---

(١) قبيلة من جهينة (ابن حجر، فتح الباري، ١٠٤/١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقة من جينة، حديث ٤٢٦٩. ومسلم، كتاب الإيمان، حديث ١٥٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث ٩٧.

(٤) انظر ترجمة أسامة بن زيد رضي الله عنه عند ابن حجر في الإصابة ٣١/١.

(٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١٩٥/١٢.

(٦) المرجع السابق ١٩٦/١٢.

ذلك اليوم؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام؛ ليأمن من جريرة تلك الفعلة، ولم يرد أنه تمنى أن لا يكون مسلماً قبل ذلك. قال القرطبي: وفيه إشعار بأنه كان استصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح في مقابلة هذه الفعلة لما سمع من الإنكار الشديد[١].

وفي موقف آخر يرويه أبو موسى الأشعري ﷺ -ولقد كان شاباً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيقول: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس ارْبَعُوا[٢] على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً" ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: " يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كَنْز من كُنوز الجنة " أو قال: "ألا أدلك على كلمة هي كَنْز من كُنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله"[٣]. وإن ما حصل في هذا الموقف من الخطأ هو رفع الصوت بالذكر والدعاء مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يشفق عليهم من ذلك، وتتمثل رحمته صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف بأمرهم بالرفق بأنفسهم وخفض أصواتهم، فإن من ينادى بالصوت العالي هو البعيد أو الأصم، والله سبحانه وتعالى ليس بأصم ولا غائب، كما بين لهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما نجد في هذا الموقف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد أبا موسى الأشعري علماً آخر، فقد كان يمشي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول في نفسه " لا حول ولا قوة إلا بالله" فبين له فضل هذا الذِّكر ليكثر منه ويداوم عليه.

ومع البراء بن عازب ﷺ حيث كان فتى شاباً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه دعاء، وحينما أخطأ البراء في لفظ الدعاء كيف صوَّب له النبي صلى الله عليه وسلم خطأه، فعن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إذا أخذت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شِقَك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن من آخر كلامك، فإنْ مُتَّ من ليلتك، مُتَّ وأنت على الفطرة قال: فرددتهن لأستذكرهن فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت، قال: " قل: آمنت بنبيك الذي أرسلت"[٤].

---

(١) المرجع السابق ١٢/١٩٦.

(٢) أي: ارفقوا . (ابن حجر، فتح الباري، ١/١٢١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، حديث ٦٣٨٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء ٢٧١٠.

وفي رواية: فطعن بيده في صدري ثم قال: "وبنبيك الذي أرسلت"(١). فتعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع البراء ﷺ في تصويب خطأه كان برقة وعطف، حتى ما ورد في الرواية الثانية أنه طعن في صدري، فلم تكن تلك الطعنة طعنة إيذاء أو عقاب إنما كانت ملاطفة للبراء ﷺ.

المطلب الثالث: مظاهر الرحمة في الوقاية من الفتن.

لا يَسْلَم الإنسان في هذه الحياة من الفِتَن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الخوف على أمَّته من الفتن، فقد حذر أمَّته فتنة المسيح الدجَّال، وحذرهم فتنة يأجوج ومأجوج، وحذرهم فتنة الدنيا وفِتَن النساء وغيرها، والشباب أكثر تعرضاً للفتن من غيرهم، وإنّ من الرحمة بالشباب الأخذ بأيديهم وتحذيرهم الفتن بأنواعها، وأن تبيَّن لهم أسباب السلامة وطرائق الخلاص منها، حتى لا يقعوا فريسة لهذه الفتن التي تضرّ بدينهم ودنياهم.

وبيَّن لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن من أسباب الوقوع في الفتن حداثة السِن كما هي حال الخوارج، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "يأتي في آخر الزمان قوم، حُدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريّة، يمرقون من الإسلام كما يمرُق السهم من الرميّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ"(٢).

فهذا فيه بيان أن تلك الفئة التي تأتي آخر الزمان يمرقون من الدين كما يمرُق السهم من الرميّة –والعياذ بالله– هم شباب صغار السن، وفيه تحذير ضمني للشباب من الوقوع في هذه الفتنة نظراً لحداثة أسنانهم.

ومن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشباب في الوقاية من الفتن ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟" قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصى بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا صدق خليلي(٣). ففي هذا الحديث توجيه نبوي كريم لأبي هريرة ﷺ لما يحتمل أن يواجهه في مستقبل حياته من سؤال أهل الفتن، وقد حصل هذا السؤال كما أفاد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن أبا هريرة ﷺ قد استوعب الدرس وسلم من تضليل أهل الفتن بحسم الموقف وطردهم من عنده.

وقد تتمثل الفتنة في مكان من الأماكن، ولذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذِّر أحد شباب الصحابة رضي الله عنهم من الذهاب لمواطن الفتن رحمة بهم من الوقوع فيها، فعن أنس بن مالك ﷺ أن

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، حديث ٣٣٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث ٣٦١١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأيمان، حديث ١٣٥.

سول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه قائلاً: " يا أنس، إن الناس يمصرون أمصاراً، وإن مصراً منها يقال له: البصرة – أو البصيرة – فإن أنت مررت بها، أو دخلتها، فإياك وسِبَاخَها[١]، وَكَلَّاءَها[٢]، وسوقها، وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير"[٣].

ففي هذا الحديث تحذير من النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك ﷺ من الذهاب إلى مواطن الفتن طلباً للسلامة من العقوبة التي تصيب أهلها.

وقد تكون الفتن بسبب المناصب والولايات، فمن الرحمة بالشباب عدم تمكينهم منها لسلامة دينهم، ففي هذا الشأن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاب عبدالرحمن بن سمرة ﷺ عن سؤال الإمارة، معللاً سبب ذلك حيث قال له: "يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها"[٤].

فالشاب حديث السن حين يطلب المنصب أو الإمارة وليس لها بأهل قد تكون سبباً في فتنته عن دينه، بالتنازل عن شيء منه للحفاظ على هذا المنصب أو الإمارة رغبة فيها، وهنا تكون الفتنة في الدين.

---

(١) الأرض السَّبِخَة هي ذات ملح لا تنبت (مرقاة المفاتيح شرح مشاة المصابيح، على الملا الهروي القاري، ٣٤٦٩/٨)

(٢) كلاءها: هو الأصل شاطئ النهر، والموضع تربط فيه السفن، ومنه سوق الكلاء بالبصرة. (انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٩٤/٤).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، باب ذكر البصرة، حديث ٤٣٠٧. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: صحيح.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها، حديث ٧١٤٦. ومسلم، كتاب الإمارة، حديث ١٦٥٢.

المبحث الثاني: مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في العبادات.

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في تعليم العبادات والحث عليها.

تُمَثِّل لنا حادثة إقامة مالك بن الحويرث ﷺ ومن معه من الشباب وتعلمهم من النبي صلى الله عليه وسلم عدداً من مظاهر الرحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة، قال مالك بن الحويرث ﷺ: أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رفيقاً، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم. وذكر أشياء أحفظها، أو لا أحفظها، وصلُّوا كما رأيتموني أصلِّي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمَّكم أكبركم"(١).

يحدثنا مالك بن الحويرث ﷺ في هذه الرواية عنه وعن رفاقه أنهم شباب حين قدومهم على النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (ونحن شببة متقاربون) و(شببة): جمع شاب، و(متقاربون): أي متقاربون في السن، وقيل: متقاربون في العلم أو القراءة(٢). ويخبر مالك بن الحويرث ﷺ بالمدة التي قضوها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة). وفي هذه المدة التي قضاها أولئك الشباب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف لنا مالك ﷺ كيف كان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم وتعليمه إياهم بقوله: (وكان رحيماً رفيقاً) هكذا في روية البخاري، وجاء في رواية عنده الاقتصار على (رحيماً) وأخرى الاقتصار على (رفيقاً)، وجاء في بعض الروايات (رقيقاً) بقافين، كما في رواية مسلم، وجاءت بعض الروايات من دون ذكر هذا الوصف. و(رفيقاً) من الرفق، و(رقيقاً) من الرِّقة، وهما متقاربان في المعنى(٣). والرفيق ضد العنيف(٤). والرقيق نقيض الغليظ. قال الزمخشري: الرفق هو لين الجانب، ولطافة الفعل(٥).

كما أن من مظاهر الرحمة في هذا الموقف حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مراعاة حال أولئك الشباب، يتضح هذا من قول مالك ﷺ: (فلما ظن أنا اشتهينا أهلنا) وجاء في رواية عنده: (فلما رأى شوقنا)(٦)، وأهلنا جمع أهل. والمراد بأهل كل منهم زوجته أو أعم من ذلك(٧)، فإن كان المراد بالأهل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، حديث ٦٣١، واللفظ له. ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث ٦٧٤.

(٢) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٧٥/٥. وابن حجر، فتح الباري ١٧٢/٢.

(٣) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٧٥/٥. وابن حجر، فتح الباري ٢٣٦/١٣.

(٤) الجوهري، الصحاح، مادة [رفق] ١٤٨٢/٤.

(٥) أساس البلاغة ص ٣٥٧.

(٦) الرواية عند البخاري، كتاب الأذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، حديث ٦٢٨.

(٧) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٢٣٦/١٣.

الزوجات فإن الشباب أشْوَق من غيرهم إلى زوجاتهم، لما فيهم من دافع الغريزة. وحين علم صلى الله عليه وسلم شوقهم إلى أهليهم من رحمته بهم وشفقته عليهم أمرهم قائلاً: (ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم) وفي رواية (لو رجعتم)[1]، ويمكن الجمع بينهما، بأن يكون عرض ذلك عليهم على طريق الإيناس، بقوله: لو رجعتم، إذ لو بدأهم بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير، فيحتمل أن يكونوا أجابوه بنعم، فأمرهم حينئذ بقوله: ارجعوا[2]. وجاء في الحديث عدد من التوجيهات لأولئك الشباب وهي:-

التوجيه الأول: تعليم الأهل

وذلك في وصيته صلى الله عليه وسلم لهم إلى أهليهم بقوله: (وعلموهم، ومرورهم) بصيغة الأمر، ضد النهي، والمراد به أعم من ذلك؛ لأن النهي عن الشيء أمر بفعل خلاف ما نهى عنه اتفاقاً، وعطف الأمر على التعليم لكونه أَخصّ منه، أو هو استئناف، كأن سائلاً قال: ماذا نعلمهم؟ فقال: مُروهم بالطاعات، وكذا، وكذا، ووقع في رواية للبخاري: "مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا"[3] فعرف بذلك المأمور المبهم في الروايات الأخرى[4].

ودلَّت النصوص على أن مالك بن الحويرث ﷺ عَلَّمَ أناساً من قومه كيفية الصلاة، تنفيذاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن أبي قلابة ﷺ قال: "جاءنا مالك بن الحويرث، فصلَّى بنا في مسجدنا هذا، فقال: إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، ولكن أريد أن أريكم كيف رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي. قال أيوب فقلت لأبي قلابة: وكيف كانت صلاته؟ قال: مثل صلاة شيخنا هذا، يعني عمرو بن سَلِمَة. قال أيوب: وكان ذلك الشيخ يتم التكبير، وإذا رفع رأسه عن السجدة الثانية جلس واعتمد على الأرض، ثم قام"[5]

التوجيه الثاني: الصلاة كما تعلَّموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك في قوله: (وصلوا كما رأيتموني أصلي) فهذا خطاب لمالك وأصحابه ﷺ، بأن يوقعوا الصلاة على الوجه الذي رأوا النبي صلى الله عليه وسلم عليه وشاركهم في هذا الخطاب كل الأمة في أن يوقعوا الصلاة على ذلك الوجه[6]. قال الشوكاني: "الحديث يدل على وجوب جميع ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة، من الأقوال، والأفعال، ويؤكد الوجوب كونها بياناً لمجمل قوله: (أقيموا الصلاة) وهو

---

(١) الرواية عند البخاري، كتاب الأذان، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم، حديث ٦٨٥.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ١٧١/٢.

(٣) الرواية عند البخاري، كتاب الأذان، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم، حديث ٦٨٥.

(٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٢٣٦/١٣.

(٥) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، رقم الحديث ٨٢٤.

(٦) انظر: ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٢١٦/١. وابن حجر، فتح الباري ٢٣٦/١٣.

أمر قرآني يفيد الوجوب، وبيان المجمل الواجب واجب، كما تَقرَّر في الأصول، إلا أنه ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم اقتصر في تعليم المسيء صلاته على بعض ما كان يفعله ويداوم عليه، فعلمنا بذلك أنه لا وجوب لما خرج عنه من الأقوال والأفعال، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، كما تقرر في الأصول بالإجماع، ووقع الخلاف إذا جاءت صيغة أمر بشيء لم يذكر في حديث المسيء، فمنهم من قال: يكون قرينة تَصْرِف الصيغة إلى الندب، ومنهم من قال تبقى الصيغة على الظاهر، الذي تدل عليه، ويؤخذ بالزائد فالزائد"(١).

التوجيه الثالث: الأذان للصلاة

قوله: (فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم) أي دخل وقتها(٢)، وهو أمر لهم بالأذان للصلاة إذا دخل وقتها.

التوجيه الرابع: الإمامة لصلاة الجماعة

قوله: (وليؤمكم أكبركم) أمر لهم بصلاة الجماعة، وإمامهم أكبرهم في السن، لأنهم قد استووا في القراءة والعلم والهجرة. قال النووي: "وهؤلاء كانوا مستوين في باقي الخصال، لأنهم هاجروا جميعاً، وصحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازموه عشرين ليلة فاستووا في الأخذ عنه، فلم يبق ما يقدم به إلا السن"(٣).

وقال الزين بن المنير وغيره ما حاصله: إن تَسَاوي هجرتهم وإقامتهم وغرضهم بها مع ما في الشباب غالباً من الفهم، ثم توجه الخطاب إليهم بأن يعلموا من وراءهم، من غير تخصيص بعضهم دون بعض، دالٌّ على استوائهم في القراءة، والتفقُّه في الدِين، وقال ابن حجر: وقد وقع التصريح بذلك فيما رواه أبو داود من طريق مسلمة بن محمد عن خالد الحذاء عن أبي قلابة في هذا الحديث قال: "وكنا يومئذ متقاربين في العلم"(٤) انتهى(٥).

ويندرج تحت قوله صلى الله عليه وسلم: (ثم ليؤمكم أكبركم) أمرهم بصلاة الجماعة، وذلك لأنه لو استوت صلاتهم معاً مع صلاتهم منفردين لاكتفى بأمرهم بالصلاة، كأن يقول: (أذنوا وأقيموا وصلوا)، دون الأمر بالإمامة، فالإمامة لا تكون إلا بصلاة الجماعة(٦). قال النووي: (فيه الحث على الأذان والجماعة)(٧).

---

(١) نيل الأوطار ١٩٥/٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٢٣٦/١٣.

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم ١٧٥/٥. والعيني، عمدة القاري ٢١٢/٥.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، حديث ٥٨٩. وقال الألباني: صحيح.

(٥) ابن حجر، فتح الباري ١٧١/٢.

(٦) انظر: فتح الباري ١٤٢/٢.

(٧) شرح صحيح مسلم ١٧٥/٥.

المطلب الثاني: مظاهر الرحمة في تصويب الأخطاء في العبادة.

رُبَّما يقع الشباب في بعض الأخطاء في مسائل العبادة، وفي هذه الحال فإنهم بحاجة إلى أسلوب حكيم لتصويب ما وقعوا فيه من الخطأ، بحاجة إلى من يأخذهم بالرحمة والرفق والخشية عليهم من عاقبة تلك الأخطاء، كما أن ما هم فيه من العاطفة والشعور بالنشاط يدفعهم إلى الحماس الزائد في طاعة من الطاعات، قد لا تكون عاقبتها في صالحهم، وهذا ما حصل من عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ حيث يقول: جَمَعْتُ القرآن فقرأت به في كل ليلة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إني أخشى أن يطول عليك زمان وأن تمل، اقرأه في كل شهر" قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوَّتي وشبابي، قال: "اقرأه في كل عشرين" قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوَّتي وشبابي، قال: "اقرأه في كل عشر" قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوَّتي وشبابي، قال: "اقرأه في كل سبع" قلت: يا رسول الله دعني أستمتع من قوَّتي وشبابي، فأبى[1].

فرحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الفتى تتمثل في الخشية والشفقة عليه من الملل والانقطاع عن العبادة، فعبد الله بن عمرو ﷺ حرص على اغتنام مرحلة شبابه، مرحلة قوته ونشاطه في طاعة الله سبحانه وتعالى ومن ذلك قراءة القرآن، والشباب بطبيعتهم يأخذهم الحماس في بعض الأمور، ولكن المصطفى صلى الله عليه وسلم أدرك ما عند عبدالله من حماس الشاب واندفاعهم، وخشي عليه من الملل والانقطاع، فمن السهل أن يجتهد الإنسان في عمل من الأعمال لفترة محدودة، ولكن من الصعب عليه أن يداوم على هذا الاجتهاد. فقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو ﷺ عدداً أكثر من الأيام ليقرأ فيها القرآن كاملاً. كل ذلك رحمة به وشفقة عليه، فأعطاه شهراً، ثم عشرين، ثم عشراً، ثم سبعاً، كل ذلك وعبدالله بن عمرو ﷺ يقول: (يا رسول الله دعني أستمتع من قوَّتي ومن شبابي) والرسول صلى الله عليه وسلم يجاريه في ذلك الحوار الذي يمثل في أسلوبه جانباً آخر من جوانب الرحمة، فلم يعنف عليه ولم ينهره من كثرة مراجعته إياه.

وفي حديث آخر نجد عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ حمله ما فيه من قوة الشباب والرغبة في الخير على المبالغة في الصيام والقيام فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رحمة به، عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟" فقلت: بلى يا رسول الله قال: "فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث ٦٨٧٢. وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن، حديث ١٣٤٦. وصححه الألباني.

ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله" فشددت، فشدَّد علي قلت: يا رسول الله إني أجد قوة قال: "فصم صيام نبي الله داود عليه السلام، ولا تزد عليه" قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: "نصف الدهر" فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم[1].

والخطأ الحاصل هنا هو التشديد على النفس مما يؤدي في المستقبل إلى عدم القدرة على المداومة عليه، إضافة إلى ما يصاحب ذلك من تضييع لحقوق أخرى للجسد والعين والزوج والضيف، كما جاء التصريح بذلك من سول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد دلَّت بعض الروايات على ما حصل من عبد الله ﷺ من تقصير في حق الزوجة، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ، قال: "أنكحني أبي امرأة ذات حَسَب، فكان يتعاهد كَنَّتَه[2]، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يُفتِّش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم..." الحديث[3]. دلت هذه الرواية على أن عبدالله بن عمرو ﷺ حديث العهد بعرس، ولاشك أن الزوجة في هذه الحال تكون أكثر حاجة إلى زوجها، مما يتطلب من الشباب حينها مراعاة حق الزوجة، ولا يأخذهم الحماس للطاعة أو غيرها من التقصير في هذا الحق. ولذا أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ﷺ هذا الحق وحقوق أخرى كما في الحديث.

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال عبدالله بن عمرو ﷺ وما هو عليه من الحماس الذي يكون سبباً في إرهاق النفس وتضييع بعض الحقوق نهاه عن ذلك قائلاً: "لا تفعل"، ولم يكن ذلك النهي مجرداً، بل أعطاه الأنفع له "صُمْ وأفطر، وقم ونم" معللاً ذلك بقوله: "فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً"، ومن رحمته به صلى الله عليه وسلم بين له الأثر الناتج من اجتهاده لو استمر عليه "فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك، ونفهت نفسك"[4].

ولما كَبُر عبدالله ﷺ وضعف أدرك قيمة توجيه النبي صلى الله عليه وسلم له، فقال متمنياً (يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم). قال ابن حجر: (ومع عجزه وتمنيه الأخذ بالرخصة لم يترك العمل بما التزمه، بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف، كما في رواية حصين وكان عبد الله حين ضعف وكبر يصوم تلك الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ثم يفطر بعدد تلك الأيام فيقوى بذلك وكان يقول لأن أكون قبلت الرخصة أحب إلي مما عدل به لكنني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره)[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، حديث ١٩٧٥.

(٢) أي: امرأة ابنه. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٢٠٦/٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن، حديث ٥٠٥٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، حديث ١١٥٣.

(٥) فتح الباري لابن حجر ٤ م ٢٢٠.

وعلى نحو من هذا جاء حديث الثلاثة رهط الذين أنكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهادهم رحمة بهم ولمخالفتهم سنته، فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة ﷺ النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث ٥٠٦٣. ومسلم، كتاب النكاح، حديث ١٤٠١.

المبحث الثالث: مظاهر الرحمة في التوجيه النبوي في الأخلاق

المطلب الأول: مظاهر الرحمة في التعامل معهم:

ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في تعامله مع الناس بعامة ومع الشباب بخاصة، فقد كان خلقه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق، قال عنه ربه سبحانه: ﭐ□□□ﱠ [القلم، ٤]، وذلك مما حبب الناس إليه وألفهم عليه، وقد وصف من كانوا شباباً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاهدوه من خلقه الكريم، قال عنه أنس بن مالك ﷺ: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا"(١)، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها قالت: "لم يكن فاحشا، ولا متفحشا، ولا سخاباً بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح"(٢). وكان له مع شباب الصحابة رضي الله عنهم. مواقف تبين ما كان عليه من حسن الخلق معهم صلى الله عليه وسلم، فمنها على سبيل المثال ما يأتي:-

ملاطفتهم والرفق بهم:

ومن ذلك ما يبينه لنا أنس بن مالك ﷺ بقوله: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: "يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟" قال قلت: نعم، أنا أذهب، يا رسول الله(٣). فلم يكن ثمة تأنيب ولا تأديب، ولكن ملاطفة و ورحمة.

كما يوضح لنا أنس بن مالك ﷺ أنه طيلة خدمته لرسول الله الله صلى الله عليه وسلم لم يلق منه ما يضايقه حتى كلمة (أف) ويدل ذلك على حسن معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنس ﷺ، يقول أنس بن مالك ﷺ: "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي: أفاً قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا"(٤). عشر سنين لم يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك ﷺ في أمر من الأمور، ولا يدل ذلك على أن أنس بن مالك ﷺ لم يخطئ خلالها، إنما يدل على حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي موقف آخر مع جابر بن عبدالله ﷺ في حوار عن الزواج ومداعبة الزوجة، يقول جابر ﷺ: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، فلما قفلنا، تعجلت على بعير قَطُوف(٥)، فلحقني راكب من

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي، حديث ٦٢٠٣. ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث ٦٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي صلى الله عليه وسلم، حديث ٢٠١٦. وقال أبو عيسى: حسن صحيح.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، حديث ٢٣١٠.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل ، حديث ٢٣٠٩.

(٥) القطاف تقارب الخطو في سرعة. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ /٨٤).

خلفي، فالتفت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ما يعجلك" قلت: إني حديث عهد بعرس، قال: "فبكراً تزوجت أم ثيباً؟" قلت: بل ثيّباً، قال: "فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك" قال: فلما قدمنا ذهبنا لندخل، فقال: " أمهلوا، حتى تدخلوا ليلاً – أي عشاء – لكي تمتشط الشعثة، وتستحِدّ المغيبة – قال: وحدثني الثقة: أنه قال في هذا الحديث – الكيس الكيس يا جابر" يعني الولد(١).

حسن استقبالهم والتبسم لهم

يصف لنا جرير بن عبدالله ﷺ كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبله بقوله: "ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي"(٢). قال النووي في معناه: ما منعني الدخول عليه في وقت من الأوقات، و"تبسم" فعل ذلك إكراماً ولطفاً وبشاشة، ففيه استحباب هذا اللطف للوارد وفيه فضيلة ظاهرة لجرير(٣).

مراعاة نفسياتهم والتهوين عليهم فيما يحزنهم

من حسن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم مع الشباب ورحمته بهم مراعاة ما يطرأ عليهم من ظروف والتخفيف عليهم في ما يصيبهم. لما توفي والد جابر بن عبدالله ﷺ وحزن عليه جابر وازداد همه لما ترك والده من عيال ودين، لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الحال، فقال له: "يا جابر، ما لي أراك منكسراً؟" قال: قلت: يا رسول الله، استشهد أبي، وترك عيالا وديناً "، قال: "أفلا أبشرك، بما لقي الله به أباك؟"، قال: بلى: يا رسول الله، قال: " ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدي، تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني، فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، قال: فأنزل الله تعالى: ﭐ□□□□□□□□□□□ﯢﯣ □ﯤ [آل عمران: ١٦٩] "(٤).

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ، قال: ما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ عن الدجال أكثر مما سألته عنه، فقال لي: "أي بني وما ينصبك(٥) منه؟ إنه لن يضرك" قال قلت: إنهم يزعمون أن معه أنهار الماء الماء وجبال الخبز، قال: "هو أهون على الله من ذلك"(٦). فالمغيرة بن شعبة ﷺ حين أهمه أمر الدجال كثر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب طلب الولد، حديث ٥٢٤٥، واللفظ له. ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب نكاح البكر، حديث ٧١٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل، حديث ٣٠٣٥. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، حديث ٣٤٧٥.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم ٣٥/١٦.

(٤) أخرجه ابن ماجه، أبواب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث ٢٨٠٠. وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣٠٩/٢.

(٥) جاء في لفظ البخاري: "ما يضرك منه".

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث ٧١٢٢. ومسلم، كتاب الآداب، حديث ٢١٥٢.

سؤاله عنه خوفاً منه، أدرك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك فأراد تهوين الأمر عليه فسأله قائلاً: "أي بني، ما ينصبك منه" هو من النصب وهو التعب والمشقة أي ما يشق عليك ويتعبك[1]. وقوله: "إنه لن يضرك" تطمين من النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة ﷺ بسلامته من فتنة المسيح الدجال، وقول النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة ﷺ: "يا بني" تدل على حداثة سنه، وهكذا هم الشباب بحاجة إلى من يراعي نفسياتهم ويقف معهم في الأزمات.

إعانتهم عند الحاجة

عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فأبطأ بي جملي وأعيا، فأتى علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "جابر"، فقلت: نعم، قال: "ما شأنك؟" قلت: أبطأ علي جملي وأعيا، فتخلفت، فنزل يَحْجنه بِمِحْجَنِه[2] ثم قال: "اركب" فركبت، فلقد رأيته أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،... إلى أن قال: "أتبيع جملك" قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي، وقدمت بالغداة، فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد، قال: "آلآن قدمت" قلت: نعم، قال: "فدع جملك، فادخل، فصل ركعتين" فدخلت فصليت، فأمر بلالاً أن يزن له أوقية، فوزن لي بلال، فأرجح لي في الميزان، فانطلقت حتى وليت، فقال: "ادع لي جابراً" قلت: الآن يرد علي الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلي منه، قال: "خذ جملك ولك ثمنه".[3]

فجابر بن عبدالله ﷺ حين تعب جمله وعجز عن المسير وتخلف عن القوم، كان في هذا الموقف بحاجة إلى من يعينه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انتبه لحاله وحاجته إلى المساعدة، وكان صلى الله عليه وسلم من رحمته بأصحابه يتفقدهم في المسير حتى لا يتخلف أحدٌ أو ينقطع. سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جابراً ﷺ عن سبب تأخره فأخبره فأعانه في ذلك حتى كان جَمَلُ جابر ﷺ في مقدمة القوم، وزاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على ذلك أن اشترى الجَمَلَ من جابر ﷺ وأتاح له ركوبه إلى المدينة ثم أعطاه الثَّمن وزاد فيه ورد عليه الجمل مع ذلك كله.

المطلب الثاني: مظاهر الرحمة في تعليم الأخلاق الحسنة والحثّ عليها والتحذير من ضدها.

من الأخلاق الحسنة الالتزام بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في شؤون الحياة، ومن ذلك على سبيل المثال الالتزام بهديه صلى الله عليه وسلم عند النوم، ولنتأمل هنا كيف علَّم النبي صلى الله عليه وسلم علياً ﷺ وفاطمة رضي الله عنها وكانا حينئذ في سن الشباب- شيئاً من آداب النوم، فقد جاء في الصحيحين

(١) النووي، شرح صحيح مسلم ١٤/١٣٠.

(٢) المحجن: عصا معقوفة الرأس. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/٢٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمير، حديث ٢٠٩٧.

من حديث علي بن أبي طالب ﷺ أن فاطمة رضي الله عنها، شكت ما تلقى من أثر الرَّحا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبيٌ، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة رضي الله عنها فأخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة رضي الله عنها بمجيء فاطمة رضي الله عنها، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: "على مكانكما". فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: "ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم"(1).

في هذا الحديث عدد من مظاهر الرَّحمة في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ﷺ وفاطمة رضي الله عنها في أدب من آداب النوم، ومن تلك المظاهر ما يأتي:-

الأول: يتمثل في مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ﷺ وفاطمة رضي الله عنها في منزلهما رغبة في دلالتها على الخير لا قصداً في تنفيذ طلب فاطمة رضي الله عنها، ولم ينتظر صلى الله عليه وسلم حتى تعود إليه مرة أخرى.

الثاني: عدم السماح لعلي وفاطمة بالقيام من فراشهما وترك لحافهما، بل جلس بينهما وأدخل رجليه معهما في اللحاف، وربما كان الوقت شتاءً بدليل أنهما قد تغطيا بقطيفة، كما أنهما قد شعرا ببرودة قدمي النبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث: دلالتهما على ما هو خير لهما من الخادم، رغم ما كانت تلقاه فاطمة رضي الله عنها من العناء من جراء الطحين والسقاء، وهي فلذة كبد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن التسبيح والتحميد والتكبير نفعه متعد في الدنيا والآخرة، أما الخادم فنفعه في الدنيا، وهكذا تكون الرحمة الحقيقية في الأقربين بالحرص عليهم في أمور دينهم أكثر من الحرص عليهم في أمور دنياهم.

وكان لهذا التوجيه والرحمة والعطف من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأثر البالغ على علي بن أبي طالب ﷺ، فقد كان حريصاً على المداومة على هذا الذكر، فلم يتركه منذ سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يعبر عن ذلك فيقول: ما تركته منذ سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين(2).

وغض البصر عن النساء الأجنبيات أمر مطلوب، إلا أن الشباب قد يقع منهم خلاف ذلك، فالشباب معرَّضون لهذا الأمر أكثر من غيرهم نظراً لأن دافع الشهوة عندهم أشد من غيرهم، ومن الرحمة بهم تحذيرهم من هذا الأمر وأمرهم بغض البصر، ولم يغفل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر مع

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث ٣٧٠٥. ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، حديث ٢٧٢٧.

(2) أخرجه البخاري، كتاب النفقات، باب خادم المرأة، حديث ٥٣٦٢. ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، حديث ٨٠، واللفظ له.

شباب الصحابة رضي الله عنهم، مع ما هم عليه من الورع والتقوى والخوف من الله عليه عز وجل، فقد أوصى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ﷺ قائلاً: "يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة"(١).

ومن حرص شباب الصحابة رضي الله عنهم الله عنها على السلامة من هذا الأمر نجد جرير بن عبدالله ﷺ يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، عن جرير ﷺ، قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري"(٢).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب ما يؤمر له من غض البصر، حديث ٢١٤٩. والترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في نظرة الفجأة، حديث ٢٧٧٧. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، حديث ٢١٥٩.

المطلب الثالث: مظاهر الرحمة في تصويب الأخطاء في الأخلاق.

حين يحصل من الشاب الخطأ فإن تقويم ذلك الخطأ وتصويبه يحتاج إلى رفق ورحمة وشفقة على الشباب مما وقعوا فيه، وإن الغلظة والشدة غالباً لا تجدي نفعاً مع الشباب فعندهم الاعتداد بالنفس والانتصار لها، وربما تورث الشدة والغلظة معهم إلى ردة فعل لارتكاب أخطاء قد تكون أشد مما وقعوا فيه.

ولقد ضرب لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمثلة رائعة بالرحمة والشفقة والعطف على المخطئ، مما كان له الأثر الإيجابي على المخطئ، فلنتأمل ذلك الموقف الجميل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذلك الفتى الأنصاري الذي جاء يستأذنه في الزنا.

فعن أبي أمامة ﷺ قال: إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: " ادنه، فدنا منه قريباً ". قال: فجلس.

قال: " أتحبه لأمك؟ "

قال: لا. والله جعلني الله فداءك.

قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ".

قال: " أفتحبه لابنتك؟ "

قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك.

قال: " ولا الناس يحبونه لبناتهم ".

قال: " أفتحبه لأختك؟ "

قال: لا. والله جعلني الله فداءك.

قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم ".

قال: " أفتحبه لعمتك؟ "

قال: لا. والله جعلني الله فداءك.

قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم ".

قال: " أفتحبه لخالتك؟ "

قال: لا. والله جعلني الله فداءك.

قال: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم ".

قال: فوضع يده عليه وقال: " اللهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه، وحصِّن فرْجَه " قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.[1]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث ٢٢٢١١. والبيهقي في شعب الإيمان، حديث ٥٠٣٢. وقال الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

لقد استعظم الصحابة رضي الله عنهم ذلك السؤال من هذا الفتى حتى أدَّى بهم ذلك إلى زَجْرِهِ عن هذا التصرف، إلا أن الرسول الرحيم بأمته كان على العكس من ذلك فقد أدناه منه دون زجر له أو تأنيب، لكن بحوار عقلي هادئ أدى بالفتى إلى إدراك ما وقع فيه من الخطأ، فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

ولنتأمل كيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع شاب آخر هو الفضل بن عباس ﷺ حين كان ينظر للمرأة الأجنبية وهو رديف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الداع، فقد جاء في حديث جابر بن عبدالله ﷺ في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم: "... وكان الفضل رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشِق الآخر ينظر، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر..."[1]. وتتمثل الرحمة هنا مع الفضل بن عباس ﷺ باكتفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بصرف وجه الفضل بيده أكثر من مرة دون زجر أو تأنيب أو عقاب.

وجانب آخر من الرحمة في هذه القصة يتمثل بخشية النبي صلى الله عليه وسلم على الشاب والشابة من الشيطان، فقد ورد أن العباس بن عبد المطلب قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: " إني رأيت غلاماً شاباً، وجاريةً شابةً، فخشيت عليهما الشيطان"[2].

وهذا التعليل من رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب صرف وجه الفضل من رحمته بذلك الفتى الشاب وتلك الفتاة الشابة. وقال النووي: فيه الحث على غض البصر عن الأجنبيات وغضهن عن الرجال الأجانب وهذا معنى قوله وكان أبيض وسيماً حسن الشعر يعني أنه بصفة من تفتتن النساء به لحسنه، وفي رواية الترمذي وغيره في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل ﷺ فقال له العباس ﷺ لويت عنق بن عمك قال رأيت شاباً وشابةً فلم آمن الشيطان عليهما فهذا يدل على أن وضعه صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل ﷺ كان لدفع الفتنة عنه وعنها.[3]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الشباب دروساً في الرحمة حين يرى منهم شيئاً من التقصير، فعن عبد الله بن جعفر ﷺ، فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "... فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه ناضح[4] له، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنَّ، وذرفت عيناه، فنزل رسول الله

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، حديث ١٢١٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، حديث ٥٦٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٨ / ١٩٠.

(٤) الناضح هي واحدة الإبل التي يستقى عليها. (ابن منظور، لسان العرب ٦١٩/٢، مادة [نضح]).

صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه[1]، وسراته[2]، فسكن،فقال: مَنْ ربُّ هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة، التي ملكك الله إياها، فإنه شكاك إليَّ، وزعم أنك تجيعه وتُدْئبه[3]"[4]. ففي هذا الموقف يعطي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم درساً للشباب في الرحمة بالبهائم، لأنه مع حداثة أسنانهم ربما تجاوز بهم الأمر في عدم الإحسان إلى البهائم إما بإتعابها في استخدامها، أو بالتقصير في طعامها وشرابها ورعايتها.

وقريب من هذا الموقف ما حصل لعبدالله بن مسعود ﷺ وأرضاه ومن معه حين أخذوا فراخ الحُمَّرَة، فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَة[5] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها. ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"[6].

(١) الذفران هما اصل الأذنين. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٦١/٢).

(٢) هو ظهر الجمل وأعلاه. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٦٤/٢).

(٣) أي : تكده وتتعبه. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٩٥/٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد، المسند ٢٠٤/١. وأبو داود، السنن، كتاب الجهاد، رقم الحديث ٢٥٤٩. وقال الألباني في "صحيح سنن أبي داود" ٤٥٨/٢: صحيح.

(٥) طائر صغير كالعصفور. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٩)

(٦) رواه أبو داود، السنن، كتاب الأدب، رقم الحديث ٥٢٦٨. وقال الألباني في "صحيح سنن أبي داود" ٥٠٩/٢: صحيح.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد تسليماً كثيراً، أما بعد: فإن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين، وتمثلت رحمته صلى الله عليه وسلم في كل جوانب حياته ودعوته، ومن تلك الجوانب توجيهاته صلى الله عليه وسلم للشباب، تلك المرحلة الهامة والحساسة من حياة الإنسان، والتي يحتاج فيها الشباب إلى عناية خاصة في توجيههم لما فيه صلاحهم، ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مواقف عدة مع شباب الصحابة رضي الله عنهم، وتوجيهه إياهم في العقيدة والعبادة والأخلاق، وكذلك كيفية تصويبه لما يقعون فيه من الأخطاء، ولقد كانت الرحمة ظاهرة في تلك التوجيهات بمظاهرها المتعددة، وتناول البحث نماذج من تلك المظاهر، وما نتج عن ذلك المنهج النبوي الكريم من آثار إيجابية على الشباب.

ومن أهم نتائج البحث ما يأتي:-

١- أن الشباب بحاجة إلى الرحمة والشفقة في توجيههم إلى مافيه صلاحهم، لما فيهم من الخصائص، وإن استشعارهم لهذا الأمر له أثر كبير في نفسياتهم للاستجابة للتوجيهات.

٢- حين يخطئ الشباب فليس من الحكمة مواجهتهم بشدة وغلظة، بل يحتاجون إلى الرحمة والعطف، فهم في مرحلة قد تغلبهم فيها عواطفهم وشهواتهم، فإن الغلظة والشدة معهم قد تورث ردود فعل ينتج عنها أخطاء أخرى قد تكون أشد من الأولى.

٣- إن الرحمة لا تتمثل دائماً في مظهرها بالرقة والعطف، بل قد تتمثل بالشدة رحمة بهم وخوفاً عليهم مما هو أعظم، كما في حديث إسامة.

٤- كانت توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشباب سواء في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق تتصف بالرحمة والشفقة على الشباب.

٥- عني النبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة بتحذيرهم من الفتن.

٦- كان النبي صلى الله عليه وسلم يغلب جانب الرحمة والشفقة على الشباب في حال تقويم أخطائهم مع مراعاة نوع الخطأ وحال المخطئ.

وأما ما يمكن ذكره من توصيات فهي على النحو الآتي:-

١- على الدعاة إلى الله والمربين المعنيين بالشباب تغليب جانب الرحمة في توجيهاتهم للشباب، والاهتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

٢- وكذلك على المعنيين بتوجيه الشباب حين معالجة الأخطاء أن يغلبوا جانب الشفقة والرحمة لهم وإشعارهم بذلك، والبعد عن أسلوب العنف والتوبيخ والتقريع الذي يضر ولا ينفع.

٣- العناية بدراسة مظاهر الرحمة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الآخرين وإبراز الصور المشرقة

في ذلك ونشرها للعالم.

جدول شباب الصحابة الوارد ذكرهم في البحث[1]

م	الاسم	تاريخ الوفاة[2]	العمر	العمر عند الهجرة[3]	ملاحظات
١	أسامة بن زيد	٥٤			توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أسامة ١٨ وقيل ٢٠
٢	أنس بن مالك	٩١أو ٩٢ أو ٩٣		١٠	قال عن نفسه: "قدم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة".
٣	البراء بن عازب	٧٢	٨٢	١٠ تقريباً	
٤	جابر بن عبد الله	٧٨	٩٤	١٦	
٥	جرير بن عبد الله	٥٤			
٦	عبد الرحمن بن سمرة	٥٠			أسلم يوم الفتح
٧	عبد الله بن عمرو	٦٥	٧٢	٧	
٨	عبد الله بن مسعود	٣٢	٦٠	٢٨	قال عنه نفسه وقت إسلامه: "كنت غلاماً يافعاً"
١٠	علي بن أبي طالب	٤٠	٦٣	٢٣	
١١	فاطمة	١١			توفيت شابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشهر
١٢	الفضل بن عباس	في خلافة أبي بكر			كان في حجة الودع شاباً
١٣	مالك بن الحويرث				وصف نفسه وأصحابة في حديثه بأنهم شببة متقابرون
١٤	معاذ بن جبل	١٧	٣٤	١٧	توفي شاباً
١٥	المغيرة بن شعبة	٥٠			قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أي بني"
١٦	أبو موسى الأشعري	٤٢	نيف وستون	فوق العشرين قليلا	
١٧	أبو هريرة	٥٧	٧٨	٢١	

(١) هذا الجدول هو جزء من جدول تفصيلي لشباب الصحابة رضي الله عنهم أدرجته في نهاية كتابي: المنهاج النبوي في دعوة الشباب. وذكرت المراجع هناك.

(٢) من كانت وفاته سنة ثلاثين فأكثر يعد وقت الهجرة شاباً، لأن الأصل في أعمار هذه الأمة بين الستين والسبعين. فلو أخذنا السبعين لقلنا: ٧٠ – ٣٠ = ٤٠.

(٣) ولا يعني أن كل من ذكر كان مسلماً وقت ذاك بل بعضهم أسلم بعد الهجرة كأبي هريرة مثلاً.

قائمة المصادر والمراجع

١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، (دار النفائس، بيروت).

٢- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ط١(مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ).

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، ط١ (دار الحياة، بيروت، ١٤٠٦).

٤- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور نشر (الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ).

٥- تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق الدكتور محمد عبدالعزيز بسيوني، ط١ (جامعة طنطا، كلية الآداب، ١٤٢٠هـ).

٦- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، نشر (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).

٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير، (دار الفكر).

٨- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، نشر(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ).

٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، نشر (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

١٠-سلسة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ).

١١-سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، نشر (دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي).

١٢-سنن أبي داود السجستاني، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، ط١ (دار الحديث، بيروت، ١٣٨٨هـ).

١٣-سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط ٢ (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

١٤-شرح صحيح مسلم، النووي، ط٢ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ).

١٥-شعب الإيمان، ابو بكر البيهقي، ط١ (درا الرشد، الرياض، ١٤٢٣).

١٦-الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٣ (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ).

١٧-صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١ (المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ).

١٨-صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١(لمكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ)

١٩-صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١(لمكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ).

٢٠-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ).

٢١-الطبقات الكبرى، ابن سعد، (دار الفكر، بيروت).

٢٢-عمدة القاري، بدر الدين العيني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
٢٣-الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ط٢(دار المعرفة، بيروت).
٢٤-فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، نشر(رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض).
٢٥-لسان العرب، ابن منظور، نشر (دار صادر، بيروت).
٢٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الملا الهروي القاري، (دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢هـ).
٢٧-مسند الإمام أحمد، ط٥(المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ).
٢٨-معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، ط١(دار إحياء التراث، القاهرة، ١٣٦٨هـ).
٢٩-المنهاج النبوي في دعوة الشباب، سليمان بن قاسم العيد، ط١(درا العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ).
٣٠-النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط١(عيسى الحلبي، ١٣٨٣هـ).
٣١-نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، (مصطفى البابي الحلبي، مصر).

فهرس المحتويات